

### ٣ - الدكتور محمد اقبال

أكبر شعراء الرنح السليمين في العصر الحاضر

« ان صوتي قد أرقد النار التمديدة في بلاد إيران  
ولكن الرب لا يعرفون شيئاً عن شأني الشبية »  
( اقبال )

#### لأبي النصر أحمد الحسيني الهندي

بدأ الدكتور يقول الشعر في أول الأمر من نوع الغزل ثم  
بأشهر أنواع الشعر الأخرى مثل : « مثنوى » و « قصيدة »  
و « رباعي » و « قطعة » و « سدس » فأجادها إجادة تخلق  
القلوب ، غير أن كمال شعره ليس في هذه الأشكال والقيود  
الظاهرية ، بل في ابتكار المعاني ، وإبداع البيان ، ودقة الفكر ،  
وسمو الخيال ، وحسن التركيب والتشبيه ، وقوة الكلام التي  
يشتمل عليها شعره . فأنت ترى كيف أن تلك الصفات أورتت  
التصور حسناً ورواقاً في قصيدته « الأمنية » التي طلب فيها من  
الله أن يخرج من ضوضاء هذا العالم ويسكنه عملاً هادئاً ذا منظر  
بهيج . قال في وصف ذلك المنظر :

« ... فلتكن ( في ذلك المحل ) الأشجار مصطفة في جانين  
يرسم صورتها ماء النهر الصافي ، وليكن منظر الجبال فيه فناً  
إلى درجة أن يقوم الماء في شكل الأمواج لرؤيته ، ويمس الماء  
فروعُ الورد مائلاً كأن حناء ترى وجهها في المرأة ، وعندما  
تحتي الشمس عروس الليل تلبس الأزهار كساء ذهبياً مشرباً  
حمرة ... الخ »

وقال في وصف الجبابح الطائرة ليلاً في الحديقة :

« إن نور الجبابح يلعب في معمورة الحديقة كأن الشمع منور  
في محفل الأزهار ، أو نجمة قد جاءت طائرة من السماء ، أو شمع  
القمر قد نفخ فيه الروح ، أو سفير النهار قد جاء في سلطنة الليل  
فكان خاملاً في وطنه وبرز في القرية . أوزر قد وقع من قباء القمر  
أو ذرة قد ظهرت من قيص الشمس . إن في هذا القمر الصغير نوراً  
وظلمة فكأنه يخرج من الخسوف حيناً ويدخل فيه حيناً ... الخ »  
إن الدكتور إقبال ليس بشاعر فقط بل هو مفكر وفيلسوف  
أيضاً من الطراز الأول ، وهذا الأمر يزيد شعره حسناً وجمالاً

مراحله الأولى يصور لنا أدوار التكون والتخض والولادة ،  
وإني لشديد الأمل برؤية الآداب السوفيتية قد كبرت واشتد  
ساعدها ، فأصبح الكاتب في كنف الحقيقة المائلة ، فأتمه  
له صدرها يضمها بكلتا يديه

إن الأدب الخالد الذي تقبله النفوس وتقدم عليه بشغف  
يتجدد في كل حين ، لا ينقطع لسد حاجة وقتية تنبث عند طبقة  
من الناس ، في وقت من الأوقات ، وعلى هذا الأساس ، فإن  
حكومة السوفيت لم تقتصر على طبع الآثار والمؤلفات التي  
جاءت بها قرايح كتابها وشعرائها ، فأما عناية فائقة بنشر  
أشعار بوشكين ، وتمثيل مسرحيات شكسبير ؛ ولم تقل قط  
بأن أدب كتابها مرسوم له الخلود ، ولا هي تستبعد أن يكون  
نتاج هؤلاء الكتاب سائراً إلى الزوال بزوال الحاجة التي دفعت  
إليه ، مادام الزمن لم يحكم حكمه عليه ، وإذا كان هنالك من شيء  
يمسخ الفائدة التي يمكن أن يمنحها الناس من قراءة الكتب  
وانشاء الأشعار ، فما هي إلا أن ترسم لهم الأمثلة ويحدد لهم  
المعزى ، وفي التدليل الكثير على العظلة التي تتضمنها الكتب  
ضياح لسحة الجمال التي يتميز بها الأدب ، ويصبح بذلك ضرباً  
من ضروب الوعظ الجافة

ليس مما يضير القراء ألا يوفقوا كلهم إلى غاية واحدة ،  
فإن في استطلاعهم إياها في أجواء مختلفة فائدة لا تقدر ، وفي  
ذهابهم مناحى متباينة بمد عن أن تكون هناك سلطة يستهزون  
بها . هنا والثقافة كانت لجلاء الدهن والاطلاق الفكر قبل أن  
تكون عامل ارشاد وتهذيب

تتوجه أنظار المفكرين ، في هذا الزمن ، إلى انتشار الانسانية  
من وهاد الاضطهادات التي تردت فيها ، وإني لا أقدر لهؤلاء  
المفكرين أن يظل الانسان موضع اهتمامهم يوم يغفلت من  
قيده ويتطلق حراً شريفاً ، فلا يننون به إلا خانماً ذليلاً أو غراً  
جهولاً ، بل ولقد أسبغ على نفوسنا طول تمحدثنا عن البؤس  
وتفنيينا بحماده ومزايه حلة من الخنوع والاستكانة لا تليق بها  
جميل أن نحلم بمجتمع تتم نمائه الأفراد ، وأجل منه أن  
نوقن بقرب قيام هذا المجتمع ما

ماجد شيخ الأرمص

ترجمة وتلخيص

٣ - رموز بيخودي (أى رموز إنكار الأنانية) : وهو الديوان الثانى باللغة الفارسية وشعره من نوع الثنوى نشره فى سنة ١٩١٨ ، وهو كالتكلمة للأول لتكوين الأنانية العليا وتربيتها

٤ - أيام مشرق (أى رسالة الشرق) : وهو ديوان باللغة الفارسية يحتوى على أنواع الشعر المختلفة ، نشره فى سنة ١٩٢٣ وقد صنفه رداً على « الديوان الغربى » للشاعر الفيلسوف الألمانى الشهير جوتيه . وقد ترجمه الدكتور نكلسن الى الإنجليزية

٥ - زبور عجم : ديوان باللغة الفارسية وشعره من الأنواع المختلفة ، ويحتوى على أرق العواطف وأدق الأفكار الفلسفية . نشره فى سنة ١٩٢٦

٦ - جاويد نامه (أى كتاب جاويد) : وهو ديوان باللغة الفارسية نهج فيه الشاعر منهج فاست لجوتيه ، ويحتوى على أدق الأفكار الفلسفية الاسلامية . وقد نسيه الى أصغر أبنائه المسمى « جاويد » . نشره فى سنة ١٩٣٢

٧ - مسافر : وهو ديوان صغير باللغة الفارسية ، شعره من نوع الثنوى ، ويحتوى على ما جادت به قريحته حين سافر الى أفغانستان تلبية لدعوة المغفور له جلالة الملك نادرشاه خان ملك أفغانستان فى سنة ١٩٣٣

٨ - بال جبريل : ديوان باللغة الاردوية ، يشتمل على ما جادت به قريحته عند زيارته الآناو الاسلامية فى الأندلس ونشره سنة ١٩٣٥

٢ - مصنفات نثرية :

١ - السياسة المدنية : صنفه باللغة الاردية وهو أول مصنفات الدكتور

٢ - تاريخ التقدم الفكرى فى بلاد إيران : وقد نال بتقديم هذا الكتاب شهادة الدكتوراه من ألمانيا

٣ - المحاضرات الست : وهى التى ألقاها فى الجامعات الهندية ، ويحتوى على فلسفة الآسيات الاسلامية

لقد طال بنا الحديث ونحب أن نختمه بكلمتين وجيزتين : منزلة شعر اقبال فى الهند : وصداءه فى العالم ، فأما منزلة شعر اقبال فى الهند ، فلشعره رسالة ستمرفها حين نفرد لها مقلاً فى المستقبل إن شاء الله . والرسالة إذا قامت لا بد أن تجذب ما حولها الى نفسها كذلك شعر اقبال ، ولا يتسع المجال هنا لأن

وروتقاً وكالاً : فقد قال كولبريج الشاعر الملقب انقاد الأديب الانجلىزى الشهير : « لم يكن وان يكون أحد شاعراً كبيراً جيداً بنير أن يكون فى نفس الوقت فيلسوفاً ومفكراً دقيقاً . لأن الشعر أرى علم الانسان وأفكاره وشموه وعواطفه ولغته قاطبة . » فى الشعر يقدر الشاعر الفيلسوف أن يبالغ أصراً من أمور الفاسفة الدقيقة ، وعز الملتصم منيع المطلب بيت واحد ، فى حين أنه لا يقدر على معالجته بصفحات من النثر . فأنت ترى كيف أن إقبالاً بين لك فى بيت واحد فلسفة الحياة ، ثم نهيك على مواضع الضعف فيك ، وفى هذا التنبيه منه لك تحريض أيضاً على الأعراض عما أنت فيه قال :

حيات چيست جهان را أسیر جان كردن  
توخود - أسیر - جهانی بجاتوانی كرد  
« ما هي الحياة ؟ هي أن تستأسر العالم لنفسك  
(ولكن) ملامت أنت أسيراً للعالم فكيف يمكن لك ذلك »  
وقال فى بيت آخر ما ترجمته :

« إن الحياة هي أن تخلق اللؤلؤ فى صدقك  
وأنت تنفذ فى قلب اليب ولا تدوب »  
وقال فى فلسفة الحياة أيضاً مخاطباً قلبه ما ترجمته :

« أيها القلب تعلم من البرعوم سر الحياة ،  
فان الحقيقة ليست بمحبوبة فى مجازه  
فانه قد نبت من التربة المظلمة ،  
ولكن نظره (داعماً) الى شمع الشمس »

يحيى الدكتور الانجلىزى والفرنسية والألمانية والفارسية والاردية ، ويرف السنسكريتية والعربية أيضاً ، ويقول الشعر بالفارسية والاردية . وجميع مصنفاته التى ظهرت الى الآن كإلى :

١ - مصنفات شعراً :

١ - بابك درا (أى صوت الجرس) : وهو ديوان باللغة الاردية ويحتوى على أنواع الشعر المختلفة من باكورة شعره

٢ - أسرار خودى (أى أسرار الأنانية) : وهو أول دواوينه باللغة الفارسية وشعره من نوع الثنوى . نشره فى سنة ١٩١٦ ، ويحتوى على مباحث إسلامية فلسفية دقيقة لثرية الأنانية . وقد ترجمه المستشرق الشهير الدكتور نكلسن الى اللغة الانجلىزية

« إن رموز (إنكار الأمانية<sup>(١)</sup>) قد حل العقد. إن (سوت الجرس<sup>(٢)</sup>) قد أصبح لي دليل الطريق »  
« إن روح (غالب<sup>(٣)</sup>) وحنو (مير<sup>(٤)</sup>) في قلبك يا إقبال إن حسن ليلي الشعر مخفي في محلك<sup>(٥)</sup> هذا »

أما صدى شعر إقبال في العالم ، فلشعر إقبال في أفغانستان مرتبة لا يشق غبارها وعزة لا يدرك شأوها ، إذ لا تقام حفلة من حفلات الحكومة إلا وتهز فيه فرق الموسيقى الحكومية قلوب الحاضرين بأماشيد إقبال وبخاصة « نشيد السلم » منها . وقد نشر أفا هادي حسن وزير التجارة مقالات في شعر إقبال . وبخاصة عن ديوانه « رسالة الشرق » في مجلة « أمان أفغان » التي تصدر بكابل ولم تأل الجرائد والمجلات في إيران تنويعاً بشعر إقبال ، كما أن أهل العلم والأدب فيها يحيطون به خيراً ، ويشنون عليه أطيب الثناء وفي ترجمتها كثير من شعر إقبال إلى اللغة التركية الكاتب المفكر الكبير حين دانس ، وكتب مقالات عديدة عن ديوانه « رسالة الشرق » وبسط نظرياته فيها وسافر أحد علماء روسيا إلى الهند ليلتقي بالدكتور إقبال فقط ، ثم نقل إلى اللغة الروسية نظريات الدكتور التي في ديوانه « أسرار الأناية »

وفي مصر نشر غير مرة صديقنا الفضال الدكتور عبد الوهاب عزام ترجمة بعض المقتطفات من شعر إقبال وفي ألمانيا ترجم الأستاذ دايشور روسو مقدمة ديوانه « رسالة الشرق » إلى اللغة الألمانية ، كما أن الدكتور فيشر الأستاذ بجامعة ليزبيرج وصاحب مجلة « اسلاميك » كتب مقالات عن الديوان « رسالة الشرق » ، وقارن فيها شعر إقبال بشعر الشاعر الألماني الشهير جوتيه ، وترجم الشاعر الفيلسوف الألماني هانسي مائنيكه قطعة من ديوانه « رسالة الشرق » إلى الألمانية ثم كتبها بيده وجدها تجليداً جميلاً على العراز الشرق موسى بالذهب والفضة أهدها إلى الدكتور إقبال تقديراً لشعره واطهاراً لحسن اعتقاده فيه . وقد أنشئت أخيراً جمعية باسم إقبال لتعريف شعره ونشر مبادئه في ألمانيا . وترجم ل ألمانيا الآن محاضرات الدكتور

(١) اسم لديوان إقبال (٢) اسمان لديوان إقبال

(٣) غالب كان رأس شعراء اللغة الأردية ، فهو بمثابة شكبير

وجوه بالأردية (٤) ميركا أحد كبار شعراء اللغة الأردية

(٥) يريد به قلبه

نستقصي زأى جميع طبقات الهيئة الاجتماعية الهندية في شعر إقبال لآبابة جاذبيته ومنزلته . وإنما نكتفي برأى طبقة الشعراء لأنهم أدري بحقيقة فنه ودقائقه

إن الشعراء في الهند كثيرون فمنهم من يجيد الشعر بالأردية ومنهم من ينشئه بالفارسية ، ومنهم من يتقنه بالانثين ، ولكن إقبالاً أسبقهم غير مدافع ، وأفضلهم غير معارض ، ولشعره بينهم القدر المثل ، فقد اتفقوا جميعاً على أنه هو شهابهم الساطع ، وبدرهم الطالع ولقبوه « بترجمان حقيقت » ( أي المبر عن الحقائق ) وقد شدا غير واحد منهم ناشراً طراز محاسنه في المجالس ، ونازراً لآل وصفه في المحافل بالأبيات والقصائد تقتطف بعضها هنا . قال مولانا غلام قادر كرامى<sup>(١)</sup> وهو من كبار شعراء الهند ويقول الشعر بالفارسية :

در دیده معنی ننگهان حضرت إقبال

پیغمبری کردو پیمبر تتوان گفت

« إن في رأی أرباب النظر قد قام حضرة

إقبال بمعمل النبوة ولا يمكن أن يقال له نبي »

وقال الشاعر فنگار - وهو من مسقط رأس إقبال ويقول

الشعر بالفارسية والأردية - وهذه ترجمته :

« إنك قد جئت بكأس من الحانة القديمة وبنجمة داوودية

من وتر الرباب »

« يا طيب روح الأمة ! أنت قد جئت بمهد الشباب في

دين إبراهيم بدواء الفلسفة »

« وقد كشفت عن نفسك بواسطة (رموز إنكار الأناية<sup>(٢)</sup>)

يا أبا الحكمة أنت قد جئت بالنهر من السراب »

وقال السيد بشير أحمد اخگر - وهو من كبار الشعراء

باللغة الأردية - وهذه ترجمته :

« إن وجودك لي سبب الحياة . إن أسرار أنايتك<sup>(٣)</sup> لي

باعث زيادة المهمة »

(١) توفي رحمه الله في سنة ١٩٢٧ ميلادية ، وكان من عشاق شعر

إقبال . فلما قرب من الموت كان يردد هذا البيت على لسانه :

سپاه پیحضرت إقبال این پیام ده

که رفت جان کرامی و توهنوز خوش

آیتها الريح بلنی رسالتی هذه الىحضرة إقبالان

روح کرامی قد طارت وأنت لازلت ساکتاً

(٢) اسم لديوان إقبال (٣) اسمان لديوان إقبال